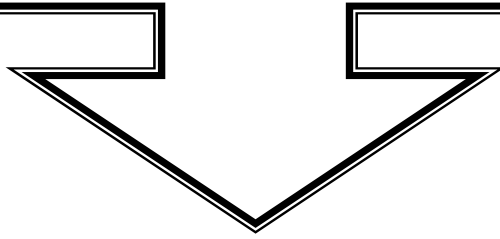


٢ - ج - ٦ : الوحدة السادسة

العصر الحديث



الأدب العربي الحديث

بداية اتصال الشرق بالغرب :

بدأ اتصال الشرق العربي بأوروبا ، التي كانت قد بلغت شأواً بعيداً في التقدم العلمي ، وأحرزت نتائج باهرة في مختلف العلوم من رياضيات وكيمياء ، وفيزياء وصناعة متطورة ، بدأ الاتصال مبكراً جداً في لبنان في عهد السلطان فخر الدين المعني الذي كان أميراً على بعض مناطق لبنان وسوريا وكانت هذه البلاد تسمى (الشام).

سافر السلطان فخر الدين إلى بعض البلاد الأوروبية ، وشاهد ما وصلت إليه من تقدم حضاري ليس له مثيل في الشرق فأعجب بذلك أعجاباً ، فعمل على توثيق العلاقات بين بلاده ، وبلاد أوروبا ، فاستقدم بعض الشركات الأوروبية التجارية ، وأرسل بعض البعثات إلى روما لتلقي العلم في معاهدها ، وتعلم لغاتها.

وقد اهتم البابا بهذا الاتصال اهتماماً كبيراً ، فوجه بابا روما في ذلك الحين الآباء اليسوعيين أن يقوموا بإنشاء المدارس الأوروبية في الشرق ، كما وجه باستقدام عدد من أبناء الموارنة إلى روما وإلحاقهم بمدارسها ليعودوا إلى بلادهم حاملين ثقافة أوروبا وعلومهم ، فكانت أول لعتة عربية تعليمية إلى أوروبا سنة ١٥٧٨ م .

ومثل ما اهتم ملوك إيطاليا بالشرق ، اهتم ملوك فرنسا بالشرق وبلبنان على وجه الخصوص ، فاستقدم لويس الرابع عشر ملك فرنسا عدداً من أبناء اللبنانيين إلى باريس حيث تعهد بتعليمهم مجاناً وأهتم المبشرون أيضاً بلبنان ، فأقبلوا إقبالاً شديداً فأنشأوا المدارس التي تعلم على المنهج الأوربي اللغات والعلوم التي كانت أوروبا قد نبغت فيها .

ولكن على الرغم من ذلك كله فإن أثر اتصال الشرق بأوروبا لم يكن له أثر واضح في بقية البلاد العربية ، فإن تأثيره لم يمتد إلى مصر والعراق أو غيرهما من الوطن العربي حتى جاءت سنة ١٧٩٧م ، تلك السنة التي يعتبرها مؤرخو الأدب الحديث البداية الحقيقية للنهضة الأدبية والثقافية المعاصرة .

في تلك السنة دخل نابليون مصر مسلحاً بأحدث ما توصلت إليه أوروبا من أنواع الأسلحة ، بينما كان المصريون وبقية أنحاء الوطن العربي لا تعرف من أنواع الأسلحة إلا السيوف والرماح وبعض البنادق البدائية .

اصطحب نابليون معه في حملته العسكرية جماعة من العلماء في تخصصات مختلفة ، فأنشأ مجمعاً علمياً ، وأحضر معه مطبعة عربية كان يطبع بها المنشورات والتعليمات التي يريد إيصالها إلى الشعب المصري ، ولم تكن مصر تعرف الطباعة قبل ذلك .

على الرغم من أن نابليون وعلماءه لم يكتفوا في مصر أكثر من ثلاث سنوات فقد كان لتلك السنوات الثلاث أثر بليغ في الثقافة العربية والأدب العربي ، لأن ذلك اللقاء بين الشرق وأوروبا قد بعث في الشرق روح التحدي والتصدي .

لما طرد المصريون نابليون من مصر سنة ١٨٠١م وتولى محمد علي عرش مصر سنة ١٨٠٥م فكر في إنشاء دولة حديثة تستعين بما وصلت إليه أوروبا من العلوم والفنون والآداب . وهنا تجمعت عدة عوامل أدت إلى ما يسمى بـ (الأدب العربي الحديث)

عوامل نهضة الأدب العربي الحديث :

١/ إرسال البعثات إلى أوروبا :

أرسل محمد علي سنة ١٨٢٦م مجموعة من الشباب المصريين إلى فرنسا عددهم أربعة وأربعون طالباً ليتخصصوا ، بعد إتقان اللغة في ، العلوم المختلفة في الزراعة ، والطب والجراحة والتشريح ، والطبيعة ، والكيمياء والعلوم البحرية ، والميكانيكا والترجمة .

كان هذا أول لقاء بين المصريين وبين الثقافة الغربية ولما عاد هؤلاء المبعوثون عادوا بثقافة جديدة ، وعقلية اتصلت بالحضارة الغربية ، وعرفوا أشياء لم يكونوا يعرفونها من قبل ، فقاموا بترجمة كثير من علوم أوروبا وألفوا باللغة العربية كتباً في العلوم والآداب فأثروا اللغة بما زودوها به من أفكار ومصطلحات حديثة .

٢/ إنشاء المطبعة :

عرف الشرق العربي المطبعة قبل مجيء ، نابليون إلى مصر عرفها في لبنان غير أنها لم تكن ذات تأثير في الأدب العربي لأنها كانت مقصورة على طباعة الكتب الدينية .

أنشأ محمد علي أول مطبعة عربية في مصر سنة ١٨٢١م في حيّ بولاق فعرفت باسم مطبعة بولاق، لقد كان لمطبعة بولاق أثر واضح في النهضة الأدبية المعاصرة حيث قامت بطبع أمهات كتب الأدب العربي شعراً ونثراً ، كما طبعت مئات من الكتب العربية في الطب والرياضيات والطبيعات ، والتاريخ والتفسير والحديث .

أقبل الناس على كتب الأدب يقرءونها ، ويحفظون من دواوين الشعراء الأقدمين عيون الشعر العربي ، ومن كتب الأدب أرقاها أسلوباً ، ومن كتب اللغة ما وصلهم باللغة القوية الأصلية .

٣/ إنشاء الصحف :

أدى إنشاء المطبعة إلى ظهور لون جديد من ألوان القراءة هو الصحيفة التي لم تكن معروفة في الثقافة العربية من قبل .

انشأ محمد علي أول صحيفة في الوطن العربي سنة ١٨٢٨ م ، تولى رئاسة تحريرها رفاة رافع الطهطاوي ، وهو عالم أزهرى ذهب مع أول بعثة إلى فرنسا ليكون إماماً لها في الصلاة ، ومرجعاً لها في شعائرها الدينية الأخرى ، فاستغل وقت فراغه في تعلم اللغة الفرنسية فتعلمها وأتقنها ، وقرأ بها كثيراً في السياسة والتاريخ والجغرافيا والأدب الفرنسي شعراً ونثراً ، فأضاف إلى ثقافته الأصلية ثقافة غربية ، توفي سنة ١٨٧٣ م.

كان من أثر الصحف في النثر أنها هذبته وصقلته ، ونقلته من المحسنات البديعية من سجع وجناس وطباق ، إلى نثر مرسل دون قيد من القيود البديعية ، كما أنها مالت به نحو الإيجاز والسهولة لأن قراء الصحف لا يسيغون التقعر والأغراب في اللغة .

٤/ الجمعيات العلمية والأدبية :

لقد كان للجمعيات الأدبية والعلمية أثر كبير في النهضة الأدبية فأنشئت أول هذه الجمعيات في سوريا ١٨٤٧ م ، وكان هدفها الارتقاء بالعلوم ونشر الفنون والآداب . وأنشئت في مصر جمعية اسمها (جمعية المعارف) فقامت بطبع طائفة من الكتب الأدبية والتاريخية والفقهية ، ثم قامت جمعية أخرى هي (جمعية التعريب) وكان هدفها ترجمة الكتب الأجنبية في الاقتصاد والاجتماع .

٥/ المدارس الحديثة :

كان التعليم ، فيما مضى ، محصوراً في المعاهد الدينية التي نهضت بتعليم الدين فقهاً وتفسيراً وحديثاً ، وبتعليم العربية نحواً وصرفاً وبلاغة ولغة وأدباً ، ولم تكن تعنى ، إلا قليلاً ، بغير ذلك من العلوم .

أما المدارس الحديثة فقد أنشئت على نمط المدارس الأوروبية التي تعلم اللغات والعلوم الحديثة كالرياضيات والجغرافيا والأحياء والكيمياء والطبيعة ، فكان لهذه المدارس أثرها في نشر الوعي الثقافي للأمة .

٦/ المسرح :

لم يعرف الوطن العربي ، ولا الأدب العربي هذا اللون من ألوان الأدب ، وإنما ظهر المسرح لأول مرة مع غزو نابليون لمصر ، فكان ذلك شيئاً جديداً في الشرق ، ولما لم تكن في الأدب العربي نصوص مسرحية فقد قام عدد من الأدباء بترجمة عدد من المسرحيات الفرنسية إلى اللغة العربية مما أضاف رافداً جديداً إلى الأدب العربي .

٧/ المستشرقون :

المستشرقون علماء من أوروبا وأمريكا وروسيا ، اهتموا بالشرق وتاريخه وآدابه ودياناته ولغاته ، فعكفوا على دراسته دراسة عميقة .

اهتم كثير من المستشرقين بالأدب العربي واللغة العربية منذ زمن طويل فجمعوا كثيراً من الكتب المخطوطة فقاموا بدراستها وتصحيحها وطبعها في صورة جميلة ، فنشروا كثيراً من دواوين الشعراء وكتب الأدب فأقبل الأدباء والشعراء على هذه الكتب المصححة فنهلوا مما فيها من جمال وبلاغة .

مراحل تطور الأدب العربي الحديث

أولاً : الشعر :

مر الشعر العربي المعاصر بثلاثة أطوار .

الطور الأول : طور الضعف :

اتسم الشعر في هذا الطور بالضعف في اللغة والفكرة فقد كان شعراً ركيكاً ضعيفاً في شكله ومضمونه ، أما في شكله فقد كان مثقلاً بأنواع المحسنات اللفظية المتكلفة ، وكان هم الشاعر عندما يهنئ بمولود أو يرثي شخصاً أو يقرظ كتاباً أن يذكر في البيت الأخير أو عجزه تاريخ المولود أو المرثي أو تاريخ تأليف الكتاب .

قال الشيخ على الليثي توفي سنة ١٨٩٦ م ، مؤرخاً وفاة محمود باشا الفلكي في آخر بيت من المرثية .

حلّ القضاء وناعي المجد أرخنا * قد مات محمود باشا المسند الفلكي .

فإذا جمعنا القيمة العددية لكل حرف من حروف عجز البيت لكان المجموع ١٣٠٣هـ وهو السنة التي توفي فيها المرثي .

أما من حيث مضمون الشعر وأغراضه في هذا الطور فقد كانت المعاني ضيقة تافهة مبتذلة، يقول د: شوقي ضيف : (اقرأ دواوين الشعراء الذين عاصروا محمد علي وعباساً الأول وسعيداً من مثل إسماعيل الخشاب ، والشيخ حسن العطار ، والشيخ محمد شهاب الدين ، فلن تجد سوى صور لفظية قد تدرت بثياب غليظة من محسنات البديع ولن تجد شعوراً ولا عاطفة، لقد تبلدت الحياة ، فجمد الشعر والشعراء ولم يعد هناك إلا التقليد .. فقد أصبح الشعر حساباً وأرقاماً وتمازين هندسية عسيرة الحل) .

انصرف هم الشعراء إلى التشطير (وهو أن يضيف الشاعر إلى كل شطر من أبيات قصيدة أعجب بها شطراً من عنده) والترقيط (وهو أن تشتمل قصيدته على كلمات كل كلمة فيها مبدوءة بحرف من حروف الهجاء مثل قول الشيخ على الدرويش توفي ١٨٥٣ م .

علىّ على عينيك عدل عواذلي * عذاب عليها عند عاشقها عذب
عذارك عذري عجب عطفك عدتي * عيونك عصبي عاد عائبها عضب

فكل كلمة من هذين البيتين مبدوءة بحرف العين

الطور الثاني : طور الانتقال بن التقليد إلى التجديد :

لقد أخذت عوامل النهضة تعمل عملها نفوس الأدباء والشعراء ، وفي عقولهم فقد طبعت كثير من دواوين الشعراء في عصور العربية الزاهرة كما طبعت كتب الأدب التي ألفت في العصر العباسي أمثال كتب الجاحظ وابن المقفع وأمالي أبي علي القالي وغيرها ، كما عاد المبعوثون من أوروبا وقد اطلعوا على ألوان وأجناس من الأدب لم تكن معروفة في الأدب العربي .

من أبرز شعراء هذا الطور رفاة الطهطاوي توفي سنة ١٨٧٣م وعائشة التيمورية توفيت سنة ١٩٠٢م .

قلنا أن هذا الطور طور انتقال لأن الشعراء لم يتخلصوا تماماً من سمات الشعر الركيك المليء بالمحسنات والتخميسات والتشظيرات .

ومع ذلك فقد ظهرت في أشعار بعض شعراء هذا الطور آثار تلك النهضة ، فالقارئ لشعر الطهطاوي يجد فيه طابعاً تجديدياً بارزاً يتمثل في الشعر الوطني ، لأن في الشعر الوطني حديثاً عن الوطن بمفهومه السياسي والحضاري .

من شعره الوطني قوله :

ولئن حلفت بأن مصر لجنة * وقطوفها للفائزين دواني
والنيل كوثرها الشهي شرابه * لأبركل البر في أماني

ومن شعره أيضاً نشيده الذي وضعه للجيش المصري :

يأيها الجنود * والقادة الأسود
أن أمكم حسود * يعود هامى المدمع
فكم لكم حروب * بنصركم تنوب
لم تتنكم خطوب * ولا اقتحام معمع

ويلاحظ في هذا النشيد ، إضافة إلى مضمونه الوطني ، التجديد والتنوع في الموسيقى ، وهو اتجاه لم يكن مألوفاً في شعر من سبقوه إلا عند الأندلسيين .

أما عائشة التيمورية فهي أشهر شاعرة في القرن الماضي إن لم نقل إنها الشاعرة التي كانت تنظم بالعربية في ذلك القرن ، الشاعرة التي يضعها النقاد في مكانة رفيعة .

يقول العقاد : (فإذا استثناء البارودي أولاً والساعاتي ثانياً فشعر السيدة عائشة التيمورية ليعلو إلى أرفع طبقة من الشعر ارتفع إليها شعراء مصر في أواسط القرن التاسع عشر إلى عهد الثورة العرابية) .

ولعل النموذج التالي يوضح هذه الحقيقة ، قالت ترثي ابنتها توحيدة التي ماتت في ريعان شبابها وأول ما يلفت النظر من سمات التجديد أنها أدارت الحديث على لسان المرثية لا على لسانها هي كما جرى التقليد في الرثاء ، وهو تصوير بديع لم يكن مألوفاً من قبل في المرثي .
قالت :

* سترين نعشي كالعروس يسير	* أماه قد عز اللقاء وفي غد
* هو متزلي وله الجموع تصير	* وسينتهي المسعى إلى اللحد الذي
* جاءت عروساً ساقها التقدير	* قولي لرب اللحد رفقاً بابنتي
* قبري لثلا يحزن المقبور	* أماه لا تنسي بحق بنوتي

الطور الثالث : طور التجديد والأصالة :

اتسم الشعر في هذا الطور بالتلخص تماماً من قيود المحسنات البديعة . في هذا الطور وثبتت العبارة الشعرية من الضعف والركاكة إلى المتانة والجزالة كما قال العقاد ، فقد ظهر جيل جديد من الشعراء حطم قيود التقليد تحطيماً كاملاً .

وربما كان الذي هياً للشعراء ، في هذا الطور أن يتخلصوا من الطورين السابقين هو ما انبعث في النفوس من النفور من التقليد المزري الذي كان سمة الجيل السابق ، كما أن البعد الكامل من الثقافة التقليدية ، ثقافة عصر المماليك ، والاقتراب إلى حد من الثقافة الأوروبية ، نقول إلى حد ما ، لأن أثر الثقافة الأوروبية لم يكن قد تغلغل في النفوس ، وما ذلك إلا لأن المطلعين على الثقافة الأوروبية لم يكونوا بالكثرة التي تؤثر في الحياة الثقافية ، ثم إن المترجم من الآثار الأدبية الأوروبية شعراً ونثراً كان من القلة بحيث لم يترك أثراً يحتذي وينسج على سواده . فكان لا بد لأدباء هذا الطور من الاتجاه إلى الثقافة العربية الأصلية التي كانت المطبوعة قد أخذت تقذف بها إلى القراء ، فقد طبعت دواوين الشعراء وكتب الأدب في المشرق وفي الأندلس .

لقد أنجب هذا الطور شعراء أفذاذاً تميز شعرهم بخصيصتين لم تكونا فيمن سبقهم من الشعراء .

أولاهما : البيان الناصع الذي يعد عنصراً أساسياً من عناصر شعر هذا الطور .
 ثانيتهما : المحافظة على النمط العربي المشرق الذي كان يمثل شعراء العربية الكبار أمثال
 أبي تمام والبحثري والشريف الرضي والمنتبي وابن زيدون وغيرهم
 ولوضوح هاتين الخصيصتين في شعر هذا الطور سماه الدكتور أحمد هيكل (الاتجاه البياني
 المحافظ) وسماه حنا الفاخوري (طور التقليد العباسي) .
 لقد اتجه شعراء هذا الطور إلى التعبير عن مشاعرهم وأحاسيسهم الخاصة ، ثم التعبير عن
 واقع أمتهم ومشكلاتها ، وتسجيل الأحداث الكبرى التي وقعت في زمانهم .
 ومن كبار شعراء هذا الطور ، الشيخ ناصيف اليازجي توفي سنة ١٨٧١م
 وإبراهيم بن علي الأحذب توفي سنة ١٨٩١م في لبنان ، ومحمود سامي البارودي
 توفي سنة ١٩٠٤م في مصر .
 لقد عني هؤلاء الشعراء عناية خاصة بتحري الدقة في التعبير ، وجزالة اللغة واختيار
 المعاني الرفيعة والموسيقى العذبة .
 يقول د. هيكل في شعر هذا الطور : (.. كان أسلوباً حياً مشرقاً قد اختير للتعبير عن
 أغراض تشبه أغراض الأقدمين حيناً وتختلف عنها في كثير من الأحيان ، على أن الشاعر من
 أصحاب هذا الاتجاه كان يتخذ من العالم العربي القديم عالماً مثالياً يخفق له قلبه .. إنه عالم الآباء
 الأماجد ، والتاريخ العريق ، والدولة الإسلامية العربية الغالية) .
 لقد كان لكتاب (الوسيلة الأدبية) للشيخ حسين بن أحمد المرصفي توفي سنة ١٨٨٩م
 أثر واضح في شعراء هذا الطور بما قدم للشعراء من نماذج شعرية رفيعة ، وبما تناول من شعر
 البارودي بالتحليل والإشادة ، فهياً بذلك أذهان الشعراء لهذا الاتجاه الجديد اتجاه البارودي
 الذي بعث به الشعر العربي من رقده في العصر السابق، فرده بذلك إلى روعته البيانية المشرقة،
 وإلى الإقبال على نفس الشاعر وما يضطرب فيها من أحاسيس وخواطر وما تزخر به من
 تجارب ، وإلى الاهتمام بقضايا أمته ، وإلى ما يدور حوله .
 لقد سيطر هذا الاتجاه على الحياة الأدبية في الوطن العربي كله سيطرة تامة حتى إن الجيل
 الذي جاء بعد البارودي من أمثال شوقي وحافظ ومحمد عبد المطلب في مصر ، وخليل
 مطران في الشام ومعروف الرصافي وجميل صدقي الزهاوي في العراق ساروا على طريقة البار
 ودي ، ففضوا بذلك على الشعر التقليدي قضاء تاماً بحيث اختفي شعر الألاعب اللفظية
 والحسنات البديعية المفرطة المتكلفة وحل محله هذا الاتجاه البياني .

موضوعات الشعر في هذا الطور:

التجارب الخاصة للشاعر :

التفت الشاعر إلى ذاته فعبّر عما يجول فيها من مشاعر وأحاسيس ، وبخاصة تلك التي تهز أعماقه هزاً عنيفاً .

ومن التجارب الخاصة التي مر بها بعض الشعراء تجربة النفي عن الوطن ، فالبار ودي عندما نفي عن مصر إلى سرنديب (حالياً سيرى لانكا) بعد فشل الثورة العربية التي كان قد اشترك فيها ، فاضت نفسه بالآلام الممضة ، واللوعة الحارة ، والحنين الجارف إلى وطنه وأبنائه وبناته الصغار وزوجته .

وعلى الرغم من أن الحنين إلى الأوطان قدّم في الشعر العربي فلم يصل شاعر إلى ما وصل إليه البار ودي من روعة التصوير وتدفق العواطف ، وحسبك بشاعر يعاني آلام الغربة سبعة عشر عاماً قضاها في البكاء حتى عميت عيناه والأبيات التالية تصور أثر النفي في نفس البار ودي .

قال :

- | | |
|-------------------------------|---------------------------------|
| ولما وقفنا للوداع وأسبلت | * مدامعنا فوق الترائب كالمـزن |
| أهبت بصبري أن يعود فعزني | * وناديت حلمي أن يثوب فلم يغن |
| وما هي إلا خطوة ثم قطعت | * بنا عن شطوط الحي أجنحة السفن |
| فكم مهجة من زفرة الوجد في لظى | * وكم مقلة من غزرة الدمع في دجن |
| وما كنت جربت النوي قبل هذه | * فلما دهنتي كدت أقضي من الحزن |
| ولولا بنيات وشيب عواطل | * لما قرعت كفى على فائت سني |

وشوقي عاني ، أيضاً ، من مرارة النفي والغربة عن الأهل والوطن ، عندما نفي إلى أسبانيا فقصي أربع سنوات هي سنوات الحرب العالمية الأولى ١٩١٤-١٩١٨ م ، فصور ما كان يحس به من مرارة الاغتراب ، فأنشد أروع قصائده هناك ، يقول في نونيته المشهورة مصوراً الحنين إلى مصر :

- | | |
|------------------------------|--------------------------------|
| ونابغي كأن الحشر آخره | * تميّتنا فيه ذكراكم وتحسينا |
| جئنا إلى الصبر ندعوه كعادتنا | * في النائبات فلم يأخذ بأيدينا |

وحافظ إبراهيم يعاني التجربة نفسها عندما أرسل مغضوباً عليه إلى السودان وهو أشبه بالنفي فأرسل إلى أصدقائه قصائد تفيض بالشكوى من مرارة الغربة ، بل يصل به الحال إلى أن يسمي السودان (وادي الهموم) ، وأنه فيه أشرف على الموت قال :

ولكني مقيدة رحالي * بقيد العدم في وادي الهموم
وما غادرت في السودان فقرا * ولم اصبغ بتربته
وها أنا بين أنياب المنايا * وتحت برائن الخطب الجسيم

٢ / الوطن وقضاياها :

اهتم الشعراء في هذا الطور بأوطانهم وقضاياها اهتماماً كبيراً فقد شاركوا أمتهم في كل ما ألم بها من أفراح وأحزان ، بل إن الحياة السياسية مصورة في شعرهم أصدق تصوير .
فهذا خليل مطران يدعو إلى محاربة الجهل ومحو الأمية ، لأن التعليم هو الذي يرتقي بالأمة ، ويجعل حكمها في يدها لا في أيدي الولاة والحكام .

إن يجهل الشعب فالحكم الخليق به * حق العزيزين من وال وسلطان
ويشارك الشعراء شعوبهم في حياتهم الاجتماعية ، وشعر الوطنيات يحتل حيزاً كبيراً في دواوينهم .

وقصيدة حافظ التي شارك بها في افتتاح الدار التي أنشئت لرعاية اللقطاء والأيتام ، تعد من روائع الشعر الاجتماعي فقد صاغها في شكل قصة مؤثرة (انظر ديوانه ٢٧٥/١) تصور ما تلاقيه هذه الفئة من ظلم المجتمع .

أما شوقي فقد عبر عن مشاركته الأمة العربية في أفراحها وأحزانها عندما قال :
كان شعري الغناء في فرح الشرق * وكان العزاء في أحزانه
أما في السياسة فقد شاركوا فيها مشاركة كبيرة ، فالبارودي اشترك في الثورة العراقية التي نشبت ضد الإنجليز حتى نفي إلى سرنديب .

وأما شوقي فإن ديوانه حافل بالقصائد السياسية ضد الاحتلال الإنجليزي ، ومثله حافظ الذي هاجم اللورد كرومر هجوماً عنيفاً ذلك المستعمر الإنجليزي الذي أهان المصريين واللغة العربية والدين الإسلامي قال :

قضيت على أم اللغات وإنه * قضاء علينا أو سبيل إلى الردى
وأودعت تقرير الوداع مغامزاً * رأينا جفاء الطبع فيك مجسداً
غمزت بها دين النبي وإننا * لنغضب إن أغضبت في القبر أحمداً

من القضايا الاجتماعية التي أثرت في أول هذا القرن ، وأثارت موجات واسعة من النقاش، قضية (الحجاب والسفور) التي أثارها قاسم أمين توفي سنة ١٩٠٨م بكتابه (تحرير المرأة) و(المرأة الجديدة) لقد أثار الكتاب الأول موجة عنيفة من النقد والاحتجاج ، فانقسم الأدباء والشعراء إزاء هذه القضية إلى ثلاث طوائف:

الأولى : المدافعون عن حرية المرأة وسفورها ، ومنهم طه حسين والعقاد وهدي شعراوي ، أول مصرية مسلمة نزع الحجاب وخرجت سافرة توفيت سنة ١٩٤٧م .
الثانية : المعارضون لسفور المرأة وخروجها إلى الشارع ، ومن هؤلاء مصطفى صادق الرافعي ، وشيوخ الأزهر ، ومن الشعراء أحمد محرم توفي سنة ١٩٤٥م الذي قال :

أغرك يا أسماء ما طنّ قاسم * أقيمي وراء الخدر فالمرء واهم
تضييق ذرعاً بالحجاب وما به * سوى ما جنت تلك الرؤى والمزاعم
سلام على الإسلام في الشرق كله * إذا ما استبيحت في الخدور المحارم

الثالثة : هي التي وقفت موقفاً وسطاً فتييح للمرأة أن تخرج في طلب العلم ولكن في حشمة ووقار وحفظ دين وأخلاق .

وقد عبر عن هذه الفئة حافظ إبراهيم في قصيدته القافية :

من لي بتربية النساء فإنها * في الشرق علة ذلك الإخفاق
الأم مدرسة إذا أعددتها * أعددت شعباً طيب الأعراق
الأم أستاذة الأساتذة الأولى * شغلت مآثرهم مدى الآفاق
أنا لا أقول دعوا النساء سوافرا * بين الرجال يجلن في الأسواق
كلا ولا أدعوكم أن تسرفوا * في الحجب والتضييق والإرهاق
فتوسطوا في الحالتين وأنصفوا * فالشر في التضييق والإطلاق
ربوا البنات على الفضيلة إنهما * في الموقفين لمن خير وثاق

٣/ استيحاء التراث :

يعد الاهتمام بالتراث الإسلامي والعربي عند شعراء هذا الطور من مظاهر النهضة الشعرية المعاصرة ، وجاء ذلك نتيجة لنشر كتب التراث الأدبية والدينية والتاريخية .

إن من يطلع على شعر هذا الطور يجد استيحاء التراث واضحاً سواء في عناوين القصائد أو في مضامينها ، وكان شوقي أكثر الشعراء حديثاً عن التراث في شعره ، وقصائده في ذلك مشهورة (الهمزية النبوية) و(نهج البردة) و(مرحباً بالهلال) و(ذكرى المولد) . كما يتخلل الحديث عن التراث كثيراً من قصائده ، ففي قصيدته الطويلة المسماة (كبار الحوادث في وادي

النيل) خصّ العهود الإسلامية في مصر بأكثر من ستين بيتاً ، واستوحى تراث المسلمين في قصيدته (أندلسية) . أما حافظ إبراهيم فله قصيدة تبلغ ١٨٦ بيتاً سرد فيها سيرة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه (ديوانه ٧٧/١) قال فيها :

وراع صاحب كسرى أن رأى عمرا	*	بين الرعية عطلا وهو راعيها
وعهده بملوك الفرس أن لها	*	سورا من الجند والأحراس تحميها
راه مستغرقاً في نومه فرأى	*	فيه الجلالفة في أسمى معانيها
وقال قولة حق أصبحت مثلاً	*	وأصبح الجليل بعد الجليل يرويها
أمنت لما أقتت العدل بينهم	*	فنمت نوم قرير العين هانيها

٤/ قضايا العالم الإسلامي والعربي :

كان النصف الأول من القرن العشرين حافلاً بالأحداث الجسام التي أخذت بخناق العالم العربي والإسلامي .

وإن أول تلك الأحداث الهجمة الصليبية على الدولة العثمانية التي قامت على الإسلام ، فتألفت الجمعيات السرية المشبوهة التي أخذت تنخر في جسد الدولة العثمانية تساعدها اليهودية الحاقدة على الإسلام متدثرة بشعارات الحرية والقومية ثم تدخلت الدول الأوروبية الصليبية ففضوا على الخلافة ، وولوا وجه تركيا شطر أوروبا فحاربوا الإسلام واللغة العربية حرباً لا هوة فيها ، ولما انتهت الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٨م اجتمعوا على البلاد الإسلامية ، واستعمروها ، وأخذوا كل الثورات التي هبت في وجههم بقوة وشراسة . لقد عبر شعراء هذا الاتجاه عن كل ذلك تعبيراً صادقاً ، فاشترك البارودي في حروب تركيا ضد أعدائها ، اشترك بسيفه وقلمه وها هو يصور إحدى هذه المعارك تصويراً حياً .

وضعوا السلاح إلى الصباح وأقبلوا	*	يتكلمون بألسن النيران
حتى إذا ما الصبح أسفر وارتمت	*	عيني بين ربا وبين مجان
فإذا الجبال أسنة وإذا الوهاد	*	أعنة والماء أحمر قان
وتوجست فرط الركاب ولم تكن	*	لتهاب فامتعت على الإرسال

ويفرح شوقي بانتصارات الأتراك على أعدائهم ، فيشبه حروبهم بحروب صلاح الدين الأيوبي ، وقصيدته (انتصار الأتراك) تشبه قصيدة أبي تمام في فتح عمورية وزنا وصياغة .

قال:

- | | |
|--------------------------------|--------------------------------|
| * يا خالد الترك جدد خالد العرب | * الله أكبر كم في الفتح من عجب |
| * فيه القتال بلا شرع ولا أدب | * حذوت حرب الصلاحيين في زمن |
| * قناك من حرمة الرهبان والصلب | * لم يأت سيفك فحشاء ولا هتكت |
| * كل المروعة في الإسلام والحسب | * ولا أزيدك بالإسلام معرفة |

ويكي شوقي سقوط الخلافة العثمانية ، وتبكي معه الأمة الإسلامية ، فبعد الانتصار الساحق للأتراك على أعدائهم الذي فرحت به أمة الإسلام ، قام مصطفى اتاتورك بإسقاط الخلافة ، فكان وقع ذلك على المسلمين شديداً أليماً فقال شوقي :

- | | |
|-------------------------------|-----------------------------|
| * وعيت بين معالم الأفراح | * عادت أغاني العرس رجع نواح |
| * ودفنت تبلج الإصباح | * كفنت في ليل الزفاف بثوبه |
| * وبكت عليك ممالك ونواح | * ضجت عليك منابر ومآذن |
| * تبكي عليك بمدمع سحاح | * الهند والهة ومصر حزينة |
| * أمحا من الأرض الخلافة ماح ؟ | * والشام تسأل والعراق وفارس |
- ويواسي شوقي سوريا عندما ضربها الفرنسيون واحتلوها واستعمروها ، قال:

- | | |
|-------------------------|---------------------------|
| * ودمع لا يكفكف يا دمشق | * سلام من صبا بردى ارق |
| * جلال الرزء عن وصف يدق | * ومعدرة اليراعة والقوافي |
| * قلوب كالحجارة لا ترق | * وللمستعمرين وإن ألانوا |

ثانياً : النثر :

إن عوامل النهضة التي ذكرناها من قبل ، والتي كانت قد أخذت تؤتي ثمارها في الشعر العربي ، قد ظهرت آثارها في النثر شيئاً فشيئاً ، وإن المراحل التي مر بها الشعر مر بها النثر أيضاً .

مراحل تطور النثر الفني :

المرحلة الأولى : مرحلة الضعف :

ظل النثر العربي طوال النصف الأول من القرن التاسع عشر نثراً ضعيفاً تقليدياً لم يستطع أن يتخلص من إسهار العصر العثماني فكان يرسف في أغلال السجع والجناس والطباق والتورية، متكلفاً في ذلك تكلفاً شديداً . هذا من حيث الصياغة والأسلوب ، أما من حيث الموضوعات فكانت تدور حول الإخوانيات من تهنئة واعتذار وتقريض ديوان ، فالكاتب لا يعبر عن مشاعره الخاصة ، ولا عما يجول في خاطره من عواطف الحب والحزن ، وإنما يحاكي ويترسم خطأ كتاب الدواوين في العصور المتأخرة ، وبخاصة في العصر العثماني ، وهو عصر جمدت فيه الحياة الأدبية في الشرق ، جموداً يكاد يكون تاماً لولا إشعاعات أضاءت تلك الظلمات أوقدها رجال علماء ، أمثال : عبد القادر البغدادي والإمام الشوكاني ، ومحمد بن عبد الوهاب وغيرهم .

إن الحكام الأتراك كانوا يعيدون عن اللغة العربية وآدابها لا يفهمونها ولا يتذوقونها ، بل تعصبوا ضدها ، وفرضوا لغتهم فرضاً ، وعاقبوا كل من يتكلم اللغة العربية من طلاب المدارس حتى خارج حجرات الدراسة ، وظل هذا الحال حتى عهد محمد علي وأبنائه ، حكى الشيخ محمد المهدي ، وهو أديب عاصر تلك الفترة قال : (كانت اللغة العربية مضطهدة في عهد عباس الأول إلى حد أن من يتكلم بها من طلبة المدارس الحربية توضع في فمه العقلة التي توضع في فم الحمار حينما يقص ، ويبقى كذلك نهاراً كاملاً عقوبة له على تحرك لسانه بلغة القرآن في أثناء فسحته) .

ومن نماذج النثر في هذه المرحلة رسالة وجهها الشيخ علي أبو النصر توفى سنة ١٨٨١م إلى أحد أصدقائه : (إن أهى ما تسر به نفوس الأحبة ، وأهجم ما يستضاء بنوره في دياجي المحبة ، دون ما رسمه يراع المشوق ، وأبدعه مما يحسن ويروق ، تشوقاً إلى اقتطاف ثمرات المسامرة ، وتشوقاً إلى أبيات محاسن البديع عامرة) وهو كما ترى نثر متعلق بأنواع البديع مرصوف رصفاً خال من حرارة العاطفة .

المرحلة الثانية : الانتقال من الضعف إلى القوة :

كانت عوامل النهضة ، وبخاصة عودة المبعوثين من أوروبا ، وطباعة كتب التراث شعراً ونثراً ، ونشرها ، وإقبال الأدباء عليها ، أدى كل ذلك إلى أن يتخلص النثر من تلك القيود ويحاول النهوض من كبوته ، فظهرت آثار ذلك في كتابات بعض الأدباء ، وخاصة في الموضوعات الديوانية ، والكتابة الديوانية كتابة رسمية من خصائصها صياغة العبارة صياغة محكمة خالية من السجع والتكلف .

ولما كانت الدواوين قد عربت من التركية إلى العربية ، فقد أحدث ذلك تغييراً في أساليب الكتابة ، فوجد لوران من ألوان النثر ، أحدهما ديواني محكم الصياغة بعيد عن الألاعيب اللفظية . وثانيهما : إخواني تكثر فيه الأصباغ البلاغية .

وخير من يمثل هذا الازدواجية الأسلوبية الشيخ عبد الله فكري توفى سنة ١٨٨٩م ، قال عنه د. أحمد هيكال : (يكتب كتابات إخوانية بطريقة ، ويكتب كتابات ديوانية بأخرى ، فهو حين يكتب في المسائل الإخوانية يجنّس ويسجع ، ويتكلف ما يتكلفه هؤلاء التقليديون ثم هو حين يكتب في المسائل الرسمية يتبسط وترسل) .

ومن نماذج النثر في فترة الانتقال هذه نموذجان من كتابات عبد الله فكري ، أحدها تقرير رسمي قدمه إلى أحد رؤساء الوزارات في القرن الماضي عن مؤتمر حضره في أوروبا . (ثم أشير إليّ فقمتم وأنشدت قصيدة كنت أعددتها لذلك بعد ارتحالنا من باريس .. وخاطبني أناس باستحسانها .. وخطب بعد ذلك أناس منهم المسيو شفر وافرنا .. ثم قام الملك وودع الحاضرين وصافح البعض وصافحنا .. وانقضت الحفلة ، ورفضت الجمعية) . يلاحظ في هذا التقرير خلوه من السجع والمحسنات ، وأن ألفاظه جاءت على قدر المعاني ، وهكذا تكون كتابة التقارير .

أما النموذج الثاني ، فهو للكاتب نفسه عندما كتب إلى رئيس تحرير جريدة الوقائع المصرية مقرظاً ، قال : " لا بد أن كل من عرف التمدن ، وشمّ عرف التفنن ، وأخذ بنصيب من الفهم والتفطن ، كان أحب شيء إليه ، وأحب أمر لديه أن يكون مطلعاً على وقائع مصره ، عارفاً بما تجدد بين بني عصره من حوادث الزمان ، وعجائب عالم الإمكان " .

إن الكاتب هنا عندما اتجه إلى الكتابة الإخوانية جنح إلى السجع (عرف ، عرف / مصره وعصره) وإلى الاستعارة (شمّ عرف التفنن) .

المرحلة الثالثة : مرحلة التجديد والأصالة :

خرج النثر من المرحلتين السابقتين ناضجاً مستوياً ، تخلص من كل القيود التي كبلت خطوه ، فكان أثر عوامل النهضة فيه واضحاً ، وأثر الصحافة على الخصوص ، بل يعزى ارتقاء النثر إلى ظهور صحيفة (الوقائع المصرية) ، وهي صحيفة تعني بشئون البلاد ، أنشأها محمد علي سنة ١٨٢٨م ولعلها أول صحيفة تنشأ في الوطن العربي .

ولما كانت الكتابة الصحفية لا تحتمل أثقال المحسنات البديعية كان على الكتاب والمحررين أن يلجئوا إلى النثر السهل المترسل والكتابة غير المتكلفة .

من أوائل الذين تولوا الكتابة في (الوقائع المصرية) ، رفاة الطهطاوي ، والشيخ حسن العطار وأحمد فارس الشدياق ومحمد عبده .

موضوعات النثر الحديث :

تناول النثر عديداً من الموضوعات في شتى مجالات الحياة من اجتماعية وسياسية وإخوانية .

فمن الموضوعات التي تناولها النثر :

١/ الدفاع عن الشعوب المستعمرة :

سواء أكان ذلك الاستعمار أجنبياً مثل استعمار الإنجليز لكثير من بلاد المسلمين ، أم كان حكماً تركياً استبدادياً ، فتولى النثر إثارة حماسة تلك الشعوب ضد مستعمراتها وظالماتها ودفعهم للتخلص من ذلك الاستعمار البغيض .

ومن نماذج هذا النوع ما كتبه محمد عبده توفي سنة ١٩٠٥م يستنهض الشعوب العربية المستعمرة لتندفع في شجاعة وبسالة لتأخذ حقها عنوة ممن سلبوها حقها في الحرية والكرامة كتب محرضاً (إني لأتعجب ، وكل ذي إحساس يتعجب ، من سكان الدير المصرية ، والأتراك والحجازيين واليمنيين ألا يوجد بين هؤلاء فتى يشمر عن ساعده ويتقدم بصدره إلى هذا الوزير الأرمي .. فيكشف له وللمغرورين من أمثاله حقيقة الوطنية ؟ ! لا حول ولا قوة إلا بالله ، إن المولعين بحب الحياة يتجرعون مرارات الموت في كل لحظة خوفاً من الموت) .

٢/ الدعوة إلى تحكيم الشورى :

إن استبداد الحكام بحكم البلاد دون إشراك أهلها في أمورها العامة والخاصة يؤدي إلى الفساد السياسي والحمول الاجتماعي ، ورأي الجماعة أقوى من رأي الفرد ، لذلك دعا النثر

إلى تحكيم الشورى ، قال جمال الدين الأفغاني ناصحاً توفيق باشا أحد حكام مصر من أسرة محمد علي و داعياً له أن يأخذ بالشورى : (وإن قبلتم نصح هذا المخلص ، وأسرعتم في إشراك الأمة في حكم البلاد عن طريق الشورى ، فتأمرون بإجراء انتخابات نواب الأمة لتسن القوانين وتنفذها باسمكم وإرادتكم ، يكون ذلك أثبت لعرشكم وأدوم لسلطانكم) .

٣ / الدعوة إلى الإصلاح الاجتماعي :

ظلت الشعوب العربية ترزح تحت وطأة الفقر رداً طويلاً من الزمن ، كان الحكام فيه يستغلون الفلاحين والعمال أسوأ استغلال .

كما أن الجهل من أسوأ الأمراض الاجتماعية ، فهو العش الذي تعشش فيه الخرافات ويشيع الدجل والشعبذة فيلجأ فيه المواطن ، لجهله ، عندما تحل به مشاكل الحياة يلجأ إلى السحرة والدجالين ، فيزداد مرضاً على مرض ، وفقراً على فقر . ومما زاد من فقر الشعوب المعاملات الربوية التي يتعامل بها الأغنياء مع المزارعين لجهلهم ، وقد صور عبد الله النديم توفي سنة ١٨٩٦م ذلك تصويراً صادقاً يبين للفلاحين ما هم فيه من جهل ، وما يعانون من فقر قال: "ذهب المزارع إلى المراي ليقترض مائة جنية بفائدة قدرها عشرون في المائة فقال المراي : حسنا سأخصم من المائة عشرين فتستحق ثمانين جنيهاً ، وأضيف الفائدة وقدرها عشرون جنيهاً فيكون الدين مائة وعشرين جنيهاً " ووافق الفلاح لجهله بالحساب ، وبذلك أخذ ثمانين جنيهاً ليسددها مائة وعشرين ، وحين السداد جاء الفلاح بكل ما أنتجته أرضه فاشتراه المراي بأبخس الأثمان) .

٤ / الوحدة الوطنية :

في الوحدة الوطنية تتمثل قوة الأمة وتماسكها أمام الأزمات، لذلك يحرص الحكام والأدباء، والشعراء على صيانة هذه الوحدة وتأكيدتها مستخدمين في ذلك كل الوسائل من قوانين وصحف وقد أسهم النثر العربي الحديث في هذه القضية مدافعاً عنها نافعاً ما يدعيه خصوم الأمة من تعصب المسلمين على النصارى ، كتب الشيخ على يوسف توفي سنة ١٩١٣م مبيناً أنه لا يوجد خلاف أو تعصب ضد غير المسلمين : (قالوا إن المصريين متعصبون تعصباً دينياً ، ومعنى هذا عندهم أنهم يكرهون المخالفين لهم في الدين كراهية عمياء ويعتدون عليهم بروح البغضاء المتناهية ..ولكن كيف وفي البلاد من قدم الزمان أديان مختلفة يتجاور أهلها في المنازل ويتشاركون في المرافق .. فلم تكن بين المسلمين والأقباط تلك الروح

الشريرة .. وقد وفد على القطر المصري وفود من كل الطوائف المسيحية شرقية وغربية ، ومن أرمن وأروام وسوريين وفرنساويين وطلبيان وإنجليز وثمانويين وأمريكيين ومن بروتستانت وكاثوليك وأرثوذكس وغير ذلك من علماء وتجار وصناع وعمال وهمل مشردين ، فلقبي الكل في مصر صدراً رحباً وكان منهم المظفون في كل مصلحة حتى تولى نوبار باشا الأرميني رئاسة النظار في مصر) .

خصائص للنثر في هذه المرحلة :

يمكن إجمال خصائص النثر في الآتي :

- ١/ تقصير الجمل ، بحيث أصبحت الجملة الواحدة مختصة بأداء معنى واحد ، ولم يعبر عن المعنى الواحد بجمل متعددة .
- ٢/ ترك المبالغة ، واجتناب الزخارف اللفظية .
- ٣/ السهولة والوضوح ، لأن الصحف وقراءها لا يسيغون الغموض والتعقيد الذي يبعد بالمقال عن هدفه .
- ٤/ اختيار الألفاظ الجمالية المتأنقة ذات الموسيقى التي تمتع القارئ وتجذبه

مجالات النشر الحديث

أولاً : الخطابة :

أ/ الخطابة السياسية :

إن إنشاء الجمعيات الأدبية والسياسية والثورة العربية ساعدت على نشوء هذا النوع من الخطابة ، وأشهر الخطباء السياسيين في مصر مصطفى كامل ، وسعد زغلول وعبد الله النديم .

ب/ الخطابة الاجتماعية :

إن الحالة الاجتماعية السيئة التي كانت تعيش فيها الأمة العربية آنذاك دعت الخطباء إلى أن يتجهوا إلى معالجة الموضوعات الاجتماعية ، فاتخذت الخطابة وسيلة لبث أفكار الإصلاح والدعوة إلى حياة أفضل .

ج / الخطابة الدينية :

ظلت الخطابة الدينية على ما كانت عليه في العصور الماضية حتى ظهرت الجمعيات الإسلامية التي حركت الخطابة الدينية من ركودها إلى خطابة حية تناقش القضايا التي تمهم الأمم الإسلامية من مثل التوجه نحو الإسلام ، وتحكيم الشريعة ، واتخذت من منابر المساجد ، ومنصات الجمعيات أماكن لصولاتها .

ثانياً : المقالة :

لم يعرف الأدب العربي هذا النوع من النشر ، والمقالة شبيهة بالرسالة كما عرفت عند الجاحظ وابن المقفع وأبي العلاء المعري ، شبيهة بها من حيث تناولها موضوعاً محدداً في صورة مركزة ، والموضوع الذي تتناوله الرسالة يتصل بقضية من القضايا الحية التي تشغل المجتمع ، ويتجه فيها الحديث نحو الجماعة . نشأت المقالة مع نشوء الصحافة التي جاءت من أوروبا مع الحملة الفرنسية .

لقد أسهمت حركة الترجمة الواسعة التي تمت في القرن التاسع عشر ، وانتشار الصحف وتنوع مجالاتها ، وتوجيهات جمال الدين الأفغاني أسهمت كل تلك في إرساء دعائم هذا النوع من النشر الفني الجديد .

تتنوع أساليب كتابة المقالة حسب ثقافة كاتبها ، وحسب الموضوع المتناول فالكاتب ذو الثقافة الفكرية يغلب على أسلوبه الجانب الذهني ، والكاتب ذو الثقافة الفنية يغلب على أسلوبه التصوير والخيال ، واستخدام الأدوات الفنية ، والكاتب ذو الثقافة العلمية يغلب على أسلوبه الجمل القصيرة المحددة ، واستخدام المصطلحات العلمية والإحصاءات الرياضية .

أساليب الكتاب في القرن العشرين :

قام الدكتور أحمد هيكل بتحليل واستخلاص خصائص ومميزات خمسة من أشهر الكتاب من القرن الماضي في مصر .

أ/ طريقة طه حسين :

هي طريقة (التصوير المتتابع) هذا الكاتب يغلب على أسلوبه التصوير بالألفاظ والجمل وتقديم المشاهد المتتابعة ، ويعتمد أسلوبه على الجمل القصار . وإيراد تلك الجمل أو بعض أجزائها فيما يشبه التكرار ومن أهم وسائل طه حسين استخدام الروابط .. كحروف الجر في وفرة وتنوع وتقابل . ثم هناك سمات أخرى منها استخدام طائفة من (اللازمات) في البدء والانتقال كقوله (ليس من شك) و(مما لا شك فيه) و(مهما يكن من أمر) و(وأكبر الظن).

نموذج من طريقته قال عن شيء ما :

(تستطيع أن تسميه كذا ، وتستطيع أن تسميه كيت ، وأنا زعيم لك بأنه ليس كذا وليس بكيت ، وإنما هو شيء آخر غير كذا وغير كيت جميعاً) .

ب/ طريقة العقاد (طريقة التعبير للحكم) :

يعمد العقاد إلى التعبير عما عنده بألفاظ وجمل محكمة ، فيها الدقة ، وفيها القصد ، وفيها التركيز ، وفيها دسامة الزاد قبل أن يكون فيها رونق الشكل ، فلا إفراط في المقدمات ولا لجوء إلى التكرار سواء بالكلمة أو الجملة ، لأنه لا محل لشيء من ذلك وإنما المحل الأول لإعطاء أوفر معان وأغزر أفكار ..

على أن الغالب على ذلك الأسلوب الإبانة والإفصاح ، ومن سمات هذه الطريقة المميزة استخدام التذييلات الضابطة والاحتراسات المحققة ، ومن سماتها أيضاً الميل إلى التفصيلات المنطقية لا اللفظية ، والمقابلات العقلية لا البديعية ، ومن سماتها أيضاً الابتعاد عن الزخرف بكل ألوانه .

نموذج من طريقته : من مقال بعنوان (الألم واللذة) (... أما أن الألم موجود في هذه الدنيا فمما لا يختلف فيه اثنان ، وأما إنه فوق ما تقبله النفوس فمما لا يختلف فيه إلا القليل ، وأما أنه نافع أو غير نافع ، ومقدم للحياة أو مثبط لها فذلك مما يختلف فيه الكثيرون) .

ج/ طريقة الرافي (طريقة البيان المقطن) :

لأنه يميل في أسلوبه إلى الناحية البيانية ، ويهتم في المقام الأول بجمال الصياغة ، وروعة الديباجة ، هو بيان فيه بعد وتركيب وجهد حيث يميل صاحبه إلى اعتصار المعاني وتوليد الأفكار ، ومزج الخواطر من خلال مجازات مركبة واستعارات بديعة ، وكنيات خفية فيأتي بيانه آخر الأمر أشبه بعملية تقطير ألوان من الزهور المعروفة ، والورود المألوفة ، والرياحين الشائعة لاستخلاص عطر مركب مركز غريب ، فيه جمال ، ولكن ليس فيه بساطة .
من خصائص طريقة الرافي .. أنها تستلهم المعجم القرآني والسني والتراثي حيث يتكئ في كثير من المواطن على لفظة أو عبارة من القرآن الكريم أو على كلمة أو جملة من الحديث الشريف .. يميل أسلوب الرافي إلى استخدام بعض البديع ولكن في اقتصاد . قال : (لم يعرف التاريخ غير محمد رسول ﷺ أفرغ الله وجوده في الوجود الإنساني كله كما تصب المادة في المادة لتمتزج بها فتحولها ، فتحدث منها الجديد ، فإذا الإنسانية تتحول به وتنمو وإذا هو ﷺ وجود سار فيها ، فما تبرح الإنسانية تنمو به وتتحول) .

د/ طريقة الزيات (طريقة البيان المنسق) :

إن هذا الكاتب يميل أولاً في أسلوبه إلى الناحية البيانية ويجعلها في المحل الأول ، ثم إنه ثانياً لا يعتمد إلى البيان البسيط أو البيان المركب ، وإنما على البيان الذي يقوم على التنسيق والهندسة ، فالجملة فيه تعادل الجملة ، بل الكلمة تعادل الكلمة ، والفقرة توازي الفقرة ، حتى يتألف من الكلمات والجمل وال فقرات لوحات بيانية تتقابل خطوطها ، وتتبادل مساحاتها ، وتتوازن ألوانها .

والزيات يهتم لتحقيق ذلك باستخدام ألوان من المحسنات ولكن في مهارة فائقة .. وبعض هذه المحسنات يأتي به لتحقيق التجانس الصوتي كالسجع والجناس وبعضها يأتي به لتحقيق التناسق المعنوي كالمقابلة والطباق . وهكذا يحس قارئ مقالة الزيات أنه أمام هندسي مصمم مقسم مهندم .

نموذج من مقال بعنوان (أوروبا والإسلام) :

(شيع الناس بالأمس عاماً قالوا : إنه نهاية الحرب واستقبلوا عاماً يقولون إنه بداية السلم، وما كانت تلك الحرب التي حسبوها انتهت ، ولا هذه السلم التي زعموها ابتدأت إلا ظلمة أعقبها عمى ، وإلا ظلاماً سيعقبه دمار) .

هـ/ طريقة المازني : (طريقة الأداء المصري) :

إن هذا الكاتب يميل في أسلوبه إلى أن يؤدي مشاعره وأحاسيسه وأفكاره وانطباعاته بروح مصرية ، وبلغة فيها ظلال لغة المصريين ، فهو يميل إلى الدعابة ، والسخرية وإبراز المفارقات مما عرفت به الروح المصرية في تناولها للأشياء ثم هو يعمد إلى البساطة واليسر في التعبير .. وهو يؤثر من هذه وتلك ما له رصيد نفسي مصري وإشعاع شعبي غني ما دامت الفصحى لا تنكرها ، والعربية السليمة لا ترفضها ، وبرغم هذا الأداء المصري في طريقة المازني فقد كان غالباً ، لا يتورط في إهمال قواعد اللغة أو اللجوء إلى الألفاظ والتراكيب العامية .

نموذج من طريقته من مقال بعنوان (بين القراءة والكتابة) .

(مضت شهور لم اكتب فيها كلمة في الأدب ، لأني كنت أقرأ والقراءة والكتابة عندي نقيضان ، وقد كنت ، ومازلت ، امرءاً يتعذر عليه ، ولا يتأتى له أن يجمع بينهما في فترة واحدة ولكم أطلت الفكر في ذلك ، فلم يفتح الله عليّ بتعليل يستريح إليه العقل .. وما أظن إلا أن الله ، جلت قدرته قد خلقتني على طراز (عربيات الرش) التي تتخذها مصلحة التنظيم ، خزان يمتلئ ليفرغ ويفرغ ليمتلئ ، وكذلك أنا فيما أرى ، أحس الفراغ في رأسي، وما أكثر ما أحس ذلك ، فأسرع إلى الكتب ألتهم ما فيها ، وأحشو بها دماغي الذي خلقه الله خلقته عربيات الرش كما قلت ، حتى إذا شعرت بالكظة .. رفعت يدي .. فلا ينجيني منه إلا أن افتح الثقوب وأسح) (1) .

ثالثاً : المسرحية :

المسرحية قصة تمثل أمام الجمهور على مسرح ، والمسرح بناء من الخشب أو غيره مرتفع . يقوم بالتمثيل أشخاص يدور بينهم حوار يؤدي مفهوم القصة الممثلة ، والحوار في المسرحية عنصر من عناصرها الأساسية . تحاط المسرحية بالجو الذي دارت فيه القصة مكاناً

(1) راجع ترجمة : طه حسين في الأعلام تأليف : خير الدين الزركلي ١٣١/٣ ، العقاد في الأعلام ٢٢٦/٣ ، الراجعي في الأعلام ٢٣٥/٧ ، الزيات في الأعلام ١١٣/١ ، المازني في الأعلام ٧٢/١ .

وزمناً من حيث أنواع المساكن والملابس وسلوك وعادات الأشخاص الذين يمثلون العصر والمكان ، وحتى أساليب المعيشة تمثل كما جرت في زمن المسرحية .
إن مصطلح (المسرحية) ترجمة عربية لكلمة (دراما) ، وهي مرادفة أيضاً لكلمة تمثيلية .

للمسرحية القديمة ثلاثة أركان لا تتم إلا بها وهي :

- ١/ المقدمة : التي تمهد لما سيحدث من أحداث وأن تؤدي بالأحداث إلى عقدة القصة .
- ٢/ العقدة : هي القمة التي تصل إليها الأحداث بحيث تنعقد وتشد المشاهد ، وتجعله يتوتر ويفكر فيما ستنتهي إليه الأحداث .
- ٣/ الحل : يأتي بعد ذلك الحل الذي يزيل التوتر وينهي الصراع . لقد ظهرت المسرحية في الأدب العربي بعد مجيء نابليون إلى مصر ، ولم تكن معروفة قبل ذلك .
وأول مسرحية عربية هي المسرحية التي ترجمها عن الإيطالية عبد الله أبو السعود توفى سنة ١٨٧٨م ، ثم ترجم مارون النقاش توفى سنة ١٨٨٥م مسرحية (البخيل) للأديب الفرنسي مولير . ولما أطل القرن العشرون ظهرت المسرحية العربية الأصيلة .

الرواية :

الرواية فن حديث ، دخل الأدب العربي مع الثقافة الأوروبية وهي قصة طويلة تستغرق كتاباً كاملاً تتناول موضوعاً من موضوعات الحياة وتعرضه في مساحة زمنية واسعة ، وتتعدد الشخصيات في الرواية ، وتتعدد الأمكنة والأزمنة ، ويصور كل ذلك تصويراً دقيقاً مشوقاً .
وإن أشهر نموذج للرواية العربية المعاصرة هي روايات نجيب محفوظ (السكرية) ، و(بين القصرين) و (قصر الشوق) التي صورت الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية في مصر .

